جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

مرويات قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك من الطبقات الكبرى لابن سعد دراسة مقارنة مع الصحيحين دراسة تاريخية مقارنة نقدية

The Narratives Of The Three Who Remained Behind As Reported In Ibn Sa'd's Al-Tabaqat Al-Kubra: A Comparative Study With The Two Sahihs Individual And Society

إعداد

د. صالح بن عبدالله بن محمد الزهراني

أستاذ مشارك تخصص : التاريخ الإسلامي بكلية العلوم الاجتماعية جامعة أم القرى

(العدد الثالث والأربعون)

(الإصدار الرابع-نوفمبر)

(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

مرويات قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك من الطبقات الكبرى لابن سعد دراسة مقارنة مع الصحيحين دراسة تاريخية مقارنة نقدية

صالح بن عبدالله بن محمد الزهراني

قسم التاريخ الإسلامي بكلية العلوم الاجتماعية جامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: : *saleh2594@hotmail.com*

الملخص

يتناول البحث مرويات المخلفين الثلاثة في غزوة تبوك الواردة في الطبقات الكبرى لابن سعد دراسة مقارنة مع الصحيحين، وقد قُسم البحث إلى تمهيد يتناول التعريف بمحمد ابن سعد وكتابه الطبقات، والإمامين البخاري ومسلم، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: روايات المخلفين الثلاثة عند ابن سعد في الطبقات الكبرى.

المبحث الثاني: روايات المخلفين الثلاثة في الصحيحين.

المبحث الثالث: المقارنة بين الروايات عند ابن سعد والصحيحين.

لقد جاء القرآن الكريم مُجمِلاً في ذكر القصص التي حدثت في العهد النبوي، إلا أن هذه الحوادث وجدت عنايةً كبيرةً لدى المؤرخين والمحدثين، ونُقلت لنا بتفاصيلها الدقيقة، ولأن المقابلة بين ما ذكره المؤرخون وما ذكره المحدثون يؤدي إلى سيرة موثقة على أكمل وجه فقد قارن هذا البحث ما جاء عند ابن سعد في السيرة النبوية في الطبقات الكبرى – وهو يعدُ من الكتب المتقدمة التي ألفها أهل السير – بالصحيحين وهما أصح كتابين بعد القرآن الكريم. وقد توصل البحث لعدد من النتائج، منها: أورد ابن سعد قصة المخلفين الثلاثة عند حديثه عن غزوة تبوك وذكرها باختصار.اتفق البخاري ومسلم على رواية المخلفين الثلاثة التي رواها كعب بن مالك أحد الذين تخلفوا عن الغزوة مع اختلافٍ بسيطٍ بينهما.كانت أحداث القصة درساً وعبرةً للصحابة في عدم التخلف عن أمر رسول الله والمبادرة إليه.

كلمات مفتاحية: الدعوة الإسلامية ، السيرة النبوية ، العهد المدني ، غزوة تبوك ، المخلفون.

The Narratives Of The Three Who Remained Behind As Reported In Ibn Sa'd's Al-Tabaqat Al-Kubra: Comparative Study With The Two Sahihs Individual And Society

Saleh Abdullah Alzahrani
Associate Professor of Islamic History, College of Social Sciences, Umm Al-Qura University

Email: *saleh2594@hotmail.com*

Abstract:

This study investigates the narratives of the three who remained behind during the Battle of Tabuk as reported in Ibn Sa'd's Al-Tabaqat Al-Kubra, comparing them with Sahih al-Bukhari and Sahih Muslim. The paper is divided into an introduction and three sections. The introduction provides an overview of Muhammad ibn Sa'd and his book, as well as the two Imams, al-Bukhari and Muslim.

Sections one and two are about the narratives of the three who remained behind in Ibn Sa'd's Al-Tabaqat Al-Kubra and the two Sahihs respectively. Section three compares between the narratives in Ibn Sa'd's book and the two Sahihs.

The Holy Quran briefly gives much information of the stories that took place during the prophetic era. However, these events received significant attention from historians and hadith scholars and reached us in great detail. Since comparing what was said by historians and hadith scholars leads to a well-documented biography, this paper compares between the narratives of Ibn Sa'd, one of the earliest biographical works, in Al-Tabaqat Al-Kubra, with the two Sahihs, the most authentic books after the Holy Quran.

The results of the study include:

1. ***Ibn Sa'd briefly mentioned the story of the three who remained behind when discussing the Battle of Tabuk.***
2. ***Al-Bukhari and Muslim agreed on the narrative of the three who remained behind, as reported by Ka'b ibn Malik, one of those who remained behind from the battle, with slight differences between them.***
3. ***The events of the story served as a moral lesson for the companions in not neglecting the commands of the Messenger of Allah and promptly responding to him.***

Keywords: *Islamic Da'wah, Prophetic Biography, Medinan Period, The Battle Of Tabuk, Those Who Remained Behind*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن من أعظم ما يُعنى به المسلم بعد كتاب الله، سنة نبينا محمد ﷺ وما جاء فيها من أخبار وحوادث؛ لأنها المعين والمصدر الثاني للأمة الإسلامية في أخذ هذا الدين وتعاليمه وآدابه وضوابطه، ولهذا فقد اهتم المؤرخون قديماً وحديثاً بسيرة نبينا محمد ﷺ وحرصوا على سلامتها من كل زيادة أو نقصان، واتبعوا في ذلك أساليب ووسائل مكنتهم من دراستها ومقارنة نصوصها للوصول بها إلى أصدق وأوثق الروايات.

أهمية البحث:

يكتسب الموضوع أهمية كبرى من خلال إيراد مرويات قصة الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك، ودراسة هذه المرويات دراسة مقارنة، بين كتب السير الأصلية ومصادرها المتقدمة مع أشهر كتب المحدثين –الصحيحين–، حتى تتضح الروايات الصحيحة من خلال تتبع المرويات في التاريخ وعند المحدثين .

لقد وردت قصة الثلاثة المخلفين من الصحابة في غزوة تبوك في آيات قرآنية في أواخر سورة التوبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (سورة التوبة : ١١٧ – ١١٨) .

إن الحديث عن الصحابة وما وقع منهم من أخطاء، ومن ثم توبتهم، وكيف تعامل معهم رسول الله ﷺ والصحابة الكرام، تقدم للمجتمع الإسلامي دروسًا وعبراً؛ تكون لنا نبراساً في حياتنا نتعرف من خلالها على كيف وقعت هذه الحوادث، وكيف تعامل الصحابة مع خطيئتهم، وما موقف الرسول ﷺ منهم، وما تحقق من العناية الربانية لمعالجة هذه القصة، كل هذا من خلال دراسة المرويات عند ابن سعد وهو من أهل الفضل والعلم والعدالة، في كتابه "الطبقات الكبرى" والذي يعد من المصادر المتقدمة التي عُنيت بالسيرة النبوية وحوادثها وتراجم الصحابة، ومقارنتها بما جاء في الصحيحين.

إنّ مناقشة المرويات ومعرفة المناهج التي اعتمدها أهل المغازي والسير، وأهل الحديث في تدوين السيرة النبوية، ومدى التقارب والتباعد بينها، من خلال دراسة مرويات المخلفين الثلاثة الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم مختصرة، ومعرفة ما دونه المحدثون وكتب السير عنها؛ أمر يساهم في التعرف على المجتمع الإسلامي في بداية تكوينه، وبيان حال هذه المرويات والمقبول منها والمردود حتى تسلم السيرة النبوية مما يشوبها أحياناً من الإضافات والزيادات، وهذا بدوره يبرز جهود المؤرخين والمحدثين في تقصي الحقائق وثبوتها من عدمه .

وقد حرص الباحث على استخدام المنهج التاريخي القائم على جمع الروايات وإيرادها، ثم مقارنتها مع الروايات المذكورة في هذه الحادثة، وتحليلها من خلال نقاش الروايات ومعرفة الأسباب والنتائج.

أهداف الدراسة:

- بيان الروايات التاريخية التي وردت عند ابن سعد في الطبقات في حادثة المخلفين الثلاثة.

- بيان الروايات الحديثية التي وردت في الصحيحين عن الحادثة.
- مقارنة الروايات والتعرف على ما انفرد به ابن سعد ولم يرد في الصحيحين.
- التعرف على ما انفردت به كتب الصحيحين حول هذه الحادثة ولم يرد عند ابن سعد.
- تقديم ما ورد في الصحيحين في حادثة المخلفين الثلاثة عما جاء عند ابن سعد.

الدراسات السابقة:

- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق دراسة مقارنة في العهد المكي، رسالة دكتوراه لسليمان العودة، والاختلاف واضح بين هذه الدراسة وما سيقوم به الباحث هنا من حيث إطارها الزماني والمكاني.
- السيرة النبوية الواردة في الصحيحين وعند ابن إسحاق في العهد المدني من بدر إلى أحد، بحث علمي للدكتور فوزي محمد ساعاتي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد ٦، ٢٠٠٨م.
- السيرة النبوية من خلال روايات النساء في طبقات ابن سعد، رسالة ماجستير ببغداد، للباحث علي البدري، وركز فيها الباحث على روايات النساء من طبقات ابن سعد فقط.
- الأحاديث والآثار الواردة في طبقات ابن سعد من أوله إلى آخر الوفود، دراسة وتخريج للباحث صالح الشمراني، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤١٣هـ، دراسة حديثية.
- السيرة النبوية الواردة في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، دراسة مقارنة مع الصحيحين (العهد المكي ٦١٠ – ٦٢٣ م) رسالة ماجستير للباحث عبيد محمد الشريف، جامعة بيشة، سنة ١٤٤٣هـ.

وقد قسم الباحث الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

التمهيد: تعريف بمحمد بن سعد وكتابه الطبقات الكبرى، والإمامين البخاري ومسلم ومنهجهم في تدوين السيرة النبوية.

المبحث الأول: روايات المخلفين الثلاثة عند ابن سعد في الطبقات الكبرى.

المبحث الثاني: روايات المخلفين الثلاثة في الصحيحين.

المبحث الثالث: المقارنة بين الروايات عند ابن سعد والصحيحين.

التمهيد

أولاً: التعريف بمحمد بن سعد الزهري

اسمه : أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع، الهاشمي بالولاء للحسين بن عبدالله ابن عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب، لقب بالبصري مولداً ونشأة، وبالبغدادي إقامة ووفاة، وبالكاتب؛ لأنه لازم شيخه الواقدي فلقب بكاتب الواقدي(١)، ولد سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤م، في البصرة جنوب العراق، نشأ في العصر العباسي الأول وعاصر الخلفاء العباسيين الأوائل وموسى الهادي وهارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم وتوفي في خلافة هارون الواثق، وهذه الفترة كانت من أزهى عصور الدولة الإسلامية علماً وحضارةً، وقد ارتحل في طلب العلم والتقى العلماء في المدينة النبوية والكوفة ومكة المكرمة، ولازم شيخه محمد بن عمر الواقدي في بغداد سنوات طويلة (٢)، يقول عنه الخطيب البغدادي :" كان من أهل الفضل والعلم، وصنف كتابا كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين، والخالفين إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن ... وهو عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدل على صدقه "(٣)، له كتب كثيرة من أشهرها الطبقات الكبرى، وجعل في أوله السيرة النبوية ثم رتب الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم على طبقات من الطبقة الأولى : وهم أهل بدر، والطبقة الثانية: الذين أسلموا قديماً ولم يشهدوا بدرًا، والطبقة الثالثة : هم الذين شهدوا الخندق وما بعدها، والطبقة الرابعة : هم الذين أسلموا عند فتح مكة، والطبقة الخامسة : هم الصحابة الذين مات

---

(١) الخطيب البغدادي :أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق : بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (٣ / ٢٦٦) .

(٢) الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م ، (٩ / ٤٥٤) .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (٣ / ٢٦٦) .

الرسول ﷺ وهم صغار في السن، وتوفي سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م [١] . وقد ألف السيرة النبوية في البداية مستقلة عن الطبقات في مجلدين ثم ضما لبعضهما، وكان يذكر أسانيده للحادثة الواحدة دون أن يبين ترجيحه في ذلك.

وسيعتمد البحث على كتاب الطبقات الكبير الذي طبع في مكتبة الخانجي بالقاهرة، تحقيق: د. علي محمد عمر الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، وهي من أفضل الطبعات وأجودها كما ذكر ذلك المحققون [٢].

ثانياً: التعريف بالإمام البخاري

اسمه : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري، نسبة إلى بخارى [٣]، ولد سنة ١٩٤هـ / ٨١٠م، نشأ في بيئة صالحة، فوالده عُرف بصلاحه، وكذلك والدته مما أثر على شخصيته، كان ذكياً فطناً، فقد أُلهم الحفظ والذكاء [٤]، ارتحل في طلب العلم يقول عن نفسه في ذلك : " دخلت الشام

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (٣ / ٢٦٦) .

(٢) سعد موسى الموسى : طبقات ابن سعد مصدراً من مصادر تاريخ المدينة في القرن الأول والثاني الهجريين، كرسي الملك سلمان لدراسات تاريخ المدينة بالجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ، ص ١٨٢.

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢) الترجمة ٣٧٤. وبخارى : بالضم :من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، وكانت قاعدة ملك الساماني، وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه. فتحت في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان، على يد واليه في خراسان عبيد الله بن زياد سنة ٥٤هـ، وتوطد الحكم الإسلامي فيها سنة ٩٠هـ في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، وقائده قتيبة بن مسلم الباهلي . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ط .، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٢٨٠. وهي حالياً في أوزبكستان .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢) .

ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين " [١] قال عنه ابن خزيمة : " ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل " [٢] سمى كتابه بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، وقد استمر في تأليفه ست عشرة سنة [٣] وقد اعتنى بكتابه ولم يذكر فيه إلا ما كان صحيحاً وعلى شروطه كالرؤية والسماع معاً، واتصاف الراوي بالثقة والعدالة والضبط والإتقان والورع [٤] وقد جعله في عدة كتب، ابتداء ببدء الوحي ثم كتاب الإيمان وانتهى بكتاب التوحيد، وبلغت الأحاديث فيه الموصولة بلا تكرار (٢٦٠٢) وقد جمع جُلَّ المغازي في كتابه المغازي، وتوفي سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م [٥] .

(١) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن محمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ (١ / ٤٧٨) .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣١) .

(٣)الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، (٣٢٢/٢) والذهبي : سير أعلام النبلاء ، (١٢ / ٤٠٥) .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلاني : مقدمة فتح الباري بشرح البخاري، (١/ ٩) .

(٥)الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، (٣٢٢/٢) . ابن حجر العسقلاني : فتح الباري،(٤٧٧/١) .

ثالثاً: التعريف بالإمام مسلم

اسمه : مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، ولد سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢٢م، نشأ الإمام مسلم في نيسابور[١] وكان والده من أهل العلم [٢] كانت أول رحلاته للحج والعمرة وعمره حينذاك ستة عشر عاماً، وزار العراق والشام والحرمين ومصر طالباً للعلم وبلغ شيوخه في الصحيح وحده مائتين وعشرين شيخاً [٣]، قال عنه الذهبي : " هو الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق " [٤]، ويمتاز صحيح مسلم عن صحيح البخاري بأن مسلماً يسوق الحديث بكامله في الباب الواحد ويجمع طرقه فيه [٥]، وقد قسم – رحمه الله– صحيحه إلى كتب وأبواب، وتوفي سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م [٦] .

---

(١) نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، وكان المسلمون فتحوها في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والأمير عبد الله بن عامر بن كريز في سنة ٣١ صلحا وبنى بها جامعا، وقيل إنها فتحت في أيام عمر، رضي الله عنه، على يد الأحنف بن قيس وإنما انتقضت في أيام عثمان فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية . الحموي : معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٢٢ . وهي حالياً مدينة في مقاطعة خراسان شمالي شرق إيران قرب العاصمة الإقليمية مشهد.

(٢) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب، (١٠/١٢٧) .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، (١٢/٥٦١) .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، (١٢/٥٥٧) .

(٥) عبيد محمد الشريف : السيرة النبوية الواردة في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، دراسة مقارنة مع الصحيحين، (العهد المكي ٦١٠ – ٦٢٣م) رسالة ماجستير، جامعة بيشة، ١٤٤٣هـ، ص ٣٧ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، (١٥/ ١٢١) .

المبحث الأول

روايات المخلفين الثلاثة عند ابن سعد في الطبقات الكبرى:

أورد ابن سعد رواية المخلفين الثلاثة عند حديثه عن غزوة تبوك[١] في جزء السيرة النبوية والتي جاءت في بداية كتابه الطبقات، وكانت غزوة تبوك وقعت في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، ثم ذكر أن رسول الله ﷺ ندب الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي سيخرج إليه، وذلك في حرّ شديد، ثم جاءه البكاؤون وهم سبعة [٢] يستحملونه، فقال :﴿ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ

---

(١) تبوك : بالفتح ثم الضم وواو ساكنة وكاف، موضع بين وادي القُرى والشام، وقال أبو زيد : تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ وبينها وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣١- ٤٣٢ ؛ وهي اليوم من مدن شمال الحجاز الرئيسية، لها إمارة تعرف بإمارة تبوك، تبعد عن المدينة شمالاً بـ ٧٧٨ كيلاً على طريق معبدة . عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار مكة، مكة المكرمة، ص ٥٩ ؛ ووقعت تسميتها بذلك في الأحاديث الصحيحة منها حديث مسلم رقم (٧٠٦) : إنكم ستأتون غداً عين تبوك، فبذلك سميت عين تبوك، والبوك الحفر، انظر :الفتح (١١١/٨) ؛ د. محمد بن محمد العواجي : مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الجامعة الإسلامية،ج ٢، ص ٨٠٥.

(٢) محمد بن سعد بن منيع الزهري : الطبقات الكبير، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ٢، ص ١٥١ .

أما السبعة البكاؤون فقد ذكرهم ابن سعد وهم : سالم بن عمير وهرمي بن عمرو وعلبة بن زيد وأبو ليلى عبدالرحمن بن كعب المازني وعمرو بن عتبة وسلمة بن صخر والعرباض بن سارية، ويقال عبدالله بن مغفل المزني وعمرو بن عوف المزني، ويقال هم بنو مقرن من مزينة . وهم بعض فقراء الصحابة الذين يريدون الجهاد. جاءوا إلى الرسول ﷺ وأخبروه بأنهم يريدون الذهاب معه إلى تبوك، وليس عندهم ما يحملهم إلى هناك. فنظر إليهم الرسولُ واعتذر لهم بأنَّهُ ليس ←←←

تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ [1]، وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ في التخلف من غير علة فأذن لهم ، ثم ذكر المخلفين الثلاثة .

ظروف الغزوة:

حدثت غزوة تبوك في فصل الصيف عند اشتداد الحر، وكان من عادة رسول الله ﷺ أن يموه في تحديد جهته إلا ما كان من غزوة تبوك فقد حددها حتى يتأهبوا

→→→

عندَهُ ما يحملُهم عليه. فما كان منهم إلا أن ينصرفوا من عند رسول الله ﷺ وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على عدم مشاركتهم في القتال، فسمّاهم المسلمون: البكائين .الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)،المغازي، تحقيق : مارسدن جونس، ط ٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الأعلمي، بيروت،ج ٣، ص ٩٩٤، وابن سعد ج ٢، ص ١٥١ .

وقد أوردت كتب السير والمغازي والتاريخ أخبار غزوة تبوك وما جرى فيها من أحداث، وقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزوة وتيب عليهم ومن هذه المصادر : ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) : كتاب السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ؛ والواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)،المغازي؛ والبيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: سيد إبراهيم، ط.، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، دار الحديث، القاهرة، ج ٥، ص ١٦٣؛ ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا وأخيه مصطفى، ط٣، ٢٠١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت،ج ٣، ص ٣٦٢ – ٣٧٠؛ أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت ٥٨١هـ) : الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ط .، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ١٧٣ – ١٨٣ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٢٥١ – ٢٥٦؛ والذهبي : سير أعلام النبلاء، السيرة النبوية (٢/ ٢٣٢ – ٢٥٧).

(١) سورة التوبة آية ٩٢،

ويستعدوا لذلك، يقول كعب بن مالك : " كان رسول الله ﷺ قلّما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ، في حرّ شديد واستقبل سفراً بعيداً وغزو عدو كثير، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم وأخبرهم بوجهه الذي يريده" (١) وهذا يدل على صعوبة الظروف التي وقعت فيها الغزوة، ويذكر ابن هشام من رواية ابن إسحاق : أنها كانت في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه (٢)، وليس أدل على ما كان في هذه الغزوة من شدة ما جاء في القرآن الكريم بوصفها بالعسرة، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ (٣) وتسمية جيشها بجيش العسرة (٤)، قال ابن كثير : " خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وخرجوا في حر شديد فأصابهم في يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها، فكان ذلك عسرة في الماء، وعسرة في النفقة، وعسرة في الظهر" (٥) ولهذا وقع التخلف عنها، وقد تباين عدد الذين تخلفوا عنها، فمنهم من

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبير، ج ٢، ص ١٥١ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ط ..، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٣٢٣؛ السهيلي : الروض الأنف، ج ٤، ص ١٧٣- ١٨٣.

(٣) سورة التوبة، آية ١١٧.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥١.

(٥) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ١٧١؛ ابن كثير: إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبدالوهاب، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، دار الحديث، القاهرة، ج ٥، ص ١٠؛ القسطلاني: أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شرح وتعليق: مأمون بن محيي الدين، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٣٤٦.

يقول بضعة وثمانين من المنافقين، وقيل اثنان وثمانون من الأعراب، وغيرهم [١] .

المخلفون الثلاثة:

وتخلف نفر من المسلمين، أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم [٢] وهم كعب ابن مالك، ومرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكلهم من الأنصار، ولم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة [٣] رضي الله عنه وأصحابه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الكلام معهم ومخالطتهم، وأمر نساءهم باعتزالهم، حتى ضاقت عليهم

---

(١) الواقدي : المغازي، ج ٣ ، ص ٩٩٥ .

(٢) الواقدي : المغازي، ج ٣ ، ص ٩٩٦؛ وابن سعد: الطبقات: ج٢، ص ١٥١؛ الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ١٨٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ١٦٤؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٣، ص ٣٦٣.

(٣) أبو لبابة : اسمه بشير بن عبد المنذر، ويقال رفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن أمية الأوسي، كان نقيباً شهد العقبة وبدر، ويقال رده رسول الله × واستخلفه على المدينة، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر، مات في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان ممن تخلف عن غزوة تبوك، فربط نفسة بسارية في المسجد وقال : والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاماً وشراباً حتى يتوب الله علي أو أموت، ثم تاب الله عليه. ابن عبد البر : الاستيعاب، ص ٨٣٧ . وقد أخرج البيهقي في الدلائل (٥/٢٧٠) رواية مطولة في قصة أبي لبابة مع بني قريظة حين أشار إليهم أن ينزلوا على حكم رسول الله × وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، وذكر تخلفه عن غزوة تبوك، وربط نفسه في سارية المسجد بعد غزوة تبوك حتى تاب الله عليه، وهذه الرواية أخرجها البيهقي من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب فذكرها بطولها .

وهناك روايات كثيرة تدل على ان أبا لبابة كان من المتخلفين في غزوة تبوك ومن الذين اعترفوا بذنوبهم، وذلك تحت قوله تعالى : { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم } التوبة، آية رقم (١٠١) . للاستزادة انظر : العواجي، مرويات الامام الزهري في المغازي، ج٢، ص ٨٢٢-٨٢٣ .

الأرض بما رحبت، حتى تاب الله عليهم بعد خمسين ليلة، ونزلت : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) الآية .

١- كعب بن مالك :

كعب بن مالك بن أُبي بن كعب، واسم أبي بن كعب : عمرو بن القين بن كعب ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي من بني سلمة يكنى : أبا عبدالله وقيل أبو عبدالرحمن، ويقال أبو بشير، أُمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة، شهد العقبة الثانية، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين طلحة بن عبيد الله، وقيل بينه وبين الزبير بن العوام، كان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه، شهد أغلب المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وتخلف عن غزوة بدر وتبوك، لبس لأمة النبي ﷺ وكانت صفراء يوم أحد، ولبس النبي ﷺ لأمته، وجرح يوم أحد إحدى عشرة جرحًا، توفي كعب بن مالك سنة خمسين وقيل ثلاث وخمسين زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، وهو ابن سبع وسبعين وكان قد عمي بصره في آخر عمره، له أشعار حسان في المغازي وغيرها [١] .

يذكر الذهبي قول ابن سيرين: أما كعب فكان يذكر الحرب، يقول: فعلنا ونفعل، ويتهددهم. وأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيامهم، وأما ابن رواحة فكان يُعيرهم بالكفر [٢].

---

(١) ابن سعد : الطبقات، ج ٤، ص ٣٩٣-٣٩٦ ؛ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر) تحقيق :خليل بن مأمون، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، دار المعرفة، بيروت، ص ٦٣١-٦٣٢؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : خليل مأمون شيحا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار المعرفة، بيروت، ج ٣، ص ١٦٩٦.

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء، (٢/٥٢٥).

٢- مرارة بن الربيع بن عمرو بن الحارث

ويقال: ابن ربيعة، العمري الأنصاري، الأوسي، من بني عمرو بن عوف، كان قديم الإسلام، ويقال: أصله من قضاعة، حالف بني عمرو بن عوف، شهد بدراً [١]، وتخلف عن غزوة تبوك، وتاب الله عليه، لم يذكره ابن سعد فيمن شهد بدرًا [٢].

٣- هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي

من بني واقف، شهد بدراً وما بعدها، وتخلف عن غزوة تبوك [٣] وكان قديم الإسلام، كان يكسر أصنام بني واقف، وكان معه رايتهم يوم الفتح، وأمه أنيسة بنت الهدم بن امرئ القيس، أخت كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف، وكان هلال شيخاً كبيراً، وبقي بعد النبي ﷺ دهراً، لم يذكر ابن سعد أنه شهد بدراً، بل ذكره في الطبقة الثانية من الأنصار ممن لم يشهد بدرا ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وذكره لقدمه في الإسلام، أي: أنه لم يشهد أحداً عند ابن سعد [٤] .

نص الرواية عند ابن سعد:

" وتخلف نفرٌ من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم: كعب بن مالك وهلال بن

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ، ص ٦٦٠ ؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣، ص ١٨٠٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات، ج٤، ص ٢٩٤ .

(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب ، ص ٧٣٧ ؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣، ص ٢٠٥٣ .

(٤) ابن سعد : الطبقات، ج ٤، ص٣١٥ ؛ ابن الأثير (علي بن محمد الجزري) : أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق : خليل مأمون، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت، ج ٤، ص ٢٨٧ .

ربيع ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة السالمي وأبو ذر الغفاري " [١] ثم أكمل تفاصيل الغزوة ولحوق أبي خيثمة السالمي وأبي ذر الغفاري بالرسول ﷺ، أما الثلاثة فلم يلحقوا به ﷺ.

وذكر ابن سعد مجيء المخلفين إلى رسول الله ﷺ واعتذارهم إليه : " وجاءه من كان تخلف عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتّى نزلت توبتهم بعدُ " [٢] .

ثم ذكر ابن سعد قول كعب بن مالك: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يقول: كان رسول الله ﷺ، قلّما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ، في حرّ شديد واستقبل سفراً بعيداً، وغزو عدوً كثيرٍ، فجلَّى للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة عدّوهم وأخبرهم بوجهه الذي يريده " [٣].

ثم يذكر ابن سعد رواية أنس بن مالك قال: رجعنا من غزوة تبوك فلما دنونا من المدينة قال رسول الله ﷺ: " إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال نعم حبسهم العذر " [٤]، وهم المخلفون المعذورون ممن حسنت نياتهم واستقامت طويتهم [٥].

---

(١) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥١ . وأبو خيثمة الأنصاري السالمي، اسمه : عبدالله بن خيثمة، وقيل مالك بن قيس أحد بني سالم بن الخزرج شهد أحداً مع النبي × وبقي إلى أيام يزيد بن معاوية . ابن عبد البر : الاستيعاب، ص ٧٩٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥٢ .

(٤) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥٣ .

(٥) اكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات ←←←

ويذكر ابن سعد عن جابر رضي الله عنه قال: " سمعت النبي ﷺ، يقول في غزوة تبوك بعد أن رجعنا إلى المدينة: إن بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض " [1].

هذا كل ما جاء عند ابن سعد في مقدمة كتابه الطبقات، والذي أفرده للسيرة النبوية، عن قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، من غير عذر ولا شك في دينهم – موضوع البحث –، وبعض المرويات التي رواها كعب بن مالك أحد الذين تخلفوا عن الغزوة، وبشارة رسول الله ﷺ، لمن تخلف وهو معذور بمشاركتهم في الأجر وهم بالمدينة.

←←←

السيرة النبوية، ط٦، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، مكتبة العبيكان، الرياض، ج ٢، ص ٥٣٠.

(١) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥٣ .

المبحث الثاني

روايات المخلفين الثلاثة في الصحيحين.

أولاً: عند الإمام البخاري:

يذكر الإمام البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، قصة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، في باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) . وهذه الرواية وردت في الصحيحين واللفظ هنا للبخاري .

٤٤١٨ – حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ" سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ :لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ [١]، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ [٢]، وَمَا أُحِبُّ

---

(١) ليلة العقبة : هي الليلة التي بايع رسول الله × الأنصار فيها على الإسلام، وأن يؤوه وينصروه . وهي العقبة التي في طرف منى، والتي يضاف إليها جمرة العقبة . ابن هشام : السيرة النبوية، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٢) تواثقنا على الإسلام : أي تحالفنا وتعاهدنا. ابن منظور : محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٨، ٢٠٠٨م، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ص ١٥٢، مادة (وثق) .

أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ(١)، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ (٢) فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا (٣)، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا(٤)، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى(٥) لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ(٦) فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ – يُرِيدُ الدِّيوَانَ – قَالَ كَعْبٌ :فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ (٧)، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي :أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ

---

(١) قوله : وما أحب أن لي بها مشهد بدر : أي أن لي بدلها، الفتح (١١٧/٨).

(٢) أذكر : أي أعظم . الفتح (١١٧/٨) .

(٣) ورى بغيرها : أي ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره، ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٠١، مادة (وري).والتورية لفظاً يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر، فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد. الفتح (١١٧/٨).

(٤) المفاز : يعني البرية القفر، والجمع : مفاوز، سميت بذلك لأنها مهلكة . ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، (٣/ ٤٨٧) .

(٥) جلى : أي كشفه وأوضحه . ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص١٨٨، مادة (جلا) .

(٦) أهبة غزوهم : بضم الهمزة وسكون الهاء، ما يحتاج إليه في السفر والحرب، الفتح (١١٧/٨).

(٧) سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله: أي مع كثرة الجيش لن ينتبه لغيابه أحد.

يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ[١]، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ :أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ[٢]، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا [٣] عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ :مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ:[٤] يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ [٥] ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ :بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا [٦]،

---

(١) حتى اشتد الناس بالجد : الجد بكسر الجيم وهو الجد في الشيء والمبالغة فيه، الفتح (١١٨/٨).

(٢) تفارط الغزو : أي المتقدم السابق ومعناها هنا تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا . ابن منظور : لسان العرب، ج ١١، ص ١٦٢، مادة (فرط) . وانظر : الفتح (١١٨/٨)؛ وحاشية صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٢٢ .

(٣) مغموصاً : أي مطعوناً في دينه متهماً بالنفاق، ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٨٥، مادة (غمس)؛ وقيل معناه مستحقراً : الفتح (١١٨/٨).

(٤) فقال رجل من بني سلمة : اسمه : عبدالله بن أنيس . الواقدي: المغازي، ج ٣، ص ٩٩٧، قال الحافظ : وهو غير الجهني الصحابي المشهور، وقد ذُكر الواقدي فيمن استشهد باليمامة عبدالله بن أنيس السلمي، فهو هذا، الفتح (٨ /١١٨) .

(٥) حبسه برداه ونظره في عطفه : أي جانبيه . وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه . ابن منظور : لسان العرب، ج ١٠، ص ١٩٣، مادة (عطف)؛ وكنى بذلك عن حسنه وبهجته، الفتح، (١١٨/٨).

(٦) قافلاً : أي راجعاً من سفره . الجوهري : إسماعيل بن حماد : مختار الصحاح، اعتنى به :

←←←

حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ :بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ :إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ [1] عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ [2]، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ :تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي :مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ، فَقُلْتُ :بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا [3]، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ[4] اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ، فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي :وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَلَّا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ

→→→

خليل مأمون، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، دار المعرفة، بيروت، ص ٨٧٧ ، مادة (قفل) .

(١) زاح : أي بعد وذهب . الجوهري : مختار الصحاح، ص ٤٦٥، مادة (زيح) .

(٢) فأجمعت صدقه : أي جزمت بذلك وعقدت عليه قصدي، الفتح (١١٩/٨).

(٣) الجدل : اللّددُ في الخصومة والقدرة عليها. ابن منظور : لسان العرب، ج٣، ص٩٨، مادة (جدل)؛ أي فصاحة وقوة كلام، بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلي بما قيل ولا يرد . الفتح (١١٩/٨).

(٤) ليوشكن : أي ليسرعن، حاشية صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٢٣.

اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي [١] حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ :هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا :نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ :مَنْ هُمَا؟ قَالُوا :مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا[٢]، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ[٣] فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ

---

(١) يؤنبونني : أي عنفه ولامه ووبخه والتأنيب : المبالغة في التوبيخ والتعنيف . ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٦٨، مادة (أنب).

(٢) لا يُعرف أنهما شاركا في غزوة بدر هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، ولم يذكرهم أهل المغازي والسير في أهل بدر، لا ابن إسحاق ولا موسى بن عقبة، ولا الأموي، ولا الواقدي، ولا أحد ممن عدَ أهل بدر، وكذلك ينبغي ألا يكونا من أهل بدر، فإن النبي لم يهجر حاطباً، ولا عاقبة وقد جس عليه، وقال لعمر لما هم بقتله : " وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "، وأين ذنب التخلف من ذنب الجس، وهذا الموضع مما عُدَ من أوهام الزهري، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي، ط .، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٦٥٧ . وللمزيد من الأراء حول مشاركتهم في بدر والتي اختلف حولها، وكذلك الاختلاف حول من شهد بدرًا وجنى جناية أنه لا يعاقب عليها، انظر : الحافظ (١٢٠/٨) وكذلك ذكره ابن الجوزي قبل ابن القيم وقوله : (رجلين شهدا بدرا) وهم من الزهري، فإنهما لم يشهدا بدرًا . المنتظم : ج٣، ص ٣٧١.

(٣) تنكرت: النكرة ضد المعرفة، أي تغيرت، الجوهري: مختار الصحاح، ص ١٠٦٨، مادة (نكر)؛ وقوله : حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي بالتي أعرف وفي رواية معمر: وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف، وتنكر لنا الناس حتى ما هم الذين نعرف وهذا يجده الحزين والمهموم في كل شيء حتى قد يجده في نفسه، وزاد المصنف في التفسير من طريق إسحاق بن راشد، عن الزهري :وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي رسول الله ﷺ، أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلى علي. الفتح (←←←

الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا[1] وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي :هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ [2]، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ[3]، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ [4] جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ [5]، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ :يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ :اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ :فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ [6] مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ

←←←

١٢٠/٨).

(١) فاستكانا : السكون ضد الحركة أي خضعا وبقيا في داريهما . ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ٧، ص ٢٢٠، مادة (سكن) .

(٢) فأسارقه: أي أنظر إليه خفيه، الفتح (١٢٠/٨).

(٣) من جفوة الناس: أي إعراضهم، الفتح (١٢٠/٨).

(٤) تسورت : أي تسلقت . الجوهري : مختار الصحاح، ص٥٢٣، مادة (سور) .

(٥) أبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري السلمي من بني غنم بن كعب بن الخزرج، ويقال لأبي قتادة فارس رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، والصحيح أنه توفي بالكوفة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . ابن عبد البر : الاستيعاب، ص ١٦٨ .

(٦) يقال النبط والأنباط والنبيط، وسموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين، ابن منظور : لسان العرب، ج ١٤، ص١٧٧، مادة (نبط). وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل فلاحة، ويقال النبط ينسبون إلى نبط بن هانب بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح. الفتح (١٢١/٨).

يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ [١]، فَإِذَا فِيهِ :أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ[٢]، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ.[٣] فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا :وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ[٤] بِهَا التَّنُّورَ[٥]، فَسَجَرْتُهُ[٦] بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ [٧]،رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ :إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ[٨]، فَقُلْتُ :أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ :لَا، بَلِ

---

(١) ملك غسان : يقال أنه جبلة بن الأيهم، وعند الواقدي الحارث بن أبي شمر. الفتح (١٢١/٨).

(٢) ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة: أي حيث يضيع حقك، الفتح (١٢١/٨).

(٣) نواسك : أي نشاركك فيما عندنا. حاشية صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٢٢ .

(٤) فتيممت : أي قصدت، وهنا قصدت التنور وأحرقته . الجوهري : مختار الصحاح، ص ١١٧١، مادة (يمم) .

(٥) التنور: ما يخبز فيه، الفتح (١٢١/٨).

(٦) فسجرته: أي أوقدته، ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوي عنده يقينه، ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم حبا في الله ورسوله، الفتح (١٢١/٨).

(٧) ذكر الواقدي في المغازي أنه خزيمة بن ثابت، (١٠٥٢/٣)؛ وذكر في الفتح وكان خزيمة رسوله إلى هلال ومرارة. الفتح (١٢١/٨).

(٨) هي عميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصارية أم أولاده الثلاثة: عبد الله، وعبيد الله، ←←←

اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي :الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ :فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ[1]، رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ :لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ، قَالَتْ :إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي :لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ :وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ[2] ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى[3]، عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ [4] بِأَعْلَى صَوْتِهِ :يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، قَالَ :فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ[5] رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ

→→→

ومعبد، الفتح (١٢١/٨).

(١) اسمها: خولة بنت عاصم، الفتح (١٢١/٨).

(٢) رحبت : أي اتسعت . ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ١١٩، مادة (رحب) .

(٣) أوفى : أي أشرف وطلع، الفتح (١٢١/٨).

(٤) سلع : جبل بسوق المدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٨ ؛ وهو أشهر جبال المدينة على صغره، حتى أنه يفوق أحد شهرَة، ويحيط به العمران حالياً من كل اتجاه، بل وقد كساه هو من معظم جوانبه، وقد أكثر الشعراء من ذكره عاتق البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٦٠ .

(٥) وآذن: أي أعلم، ووقع في رواية إسحاق بن راشد وفي رواية معمر فأنزل الله توبتنا على نبيه حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في

←←←

اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ[1] فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ[2]، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا [3]،يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ :لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ :حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ :يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ [4]، قَالَ

→→→

شأني معتنية بأمري فقال :يا أم سلمة تيب على كعب .قالت :أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال :إذا يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة، حتى إذا صلى الفجر آذن بتوبة الله علينا. الفتح (١٢١/٨-١٢٢).

(١) وقوله : وسعى ساع من أسلم هو حمزة بن عمرو ورواه الواقدي، وعند ابن عائذ أن اللذين سعيا أبو بكر، وعمر، لكنه صدره بقوله :زعموا وعند الواقدي وكان الذي أوفى على سلع أبا بكر الصديق فصاح: قد تاب الله على كعب. والذي خرج على فرسه الزبير بن العوام .قال :وكان الذي بشرني فنزعت له ثوبي حمزة بن عمرو الأسلمي .قال :وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، قال :وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد .قال سعيد :فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه يعني لما كان فيه من الجهد فقد قيل إنه امتنع من الطعام حتى كان يواصل الأيام صائما ولا يفتر من البكاء، وكان الذي بشر مرارة بتوبته سلكان بن سلامة أو سلمة بن سلامة بن وقش الفتح (١٢٢/٨)؛ الواقدي: المغازي، (١٠٥٤/٣).

(٢) قوله : والله ما أملك غيرهما يومئذ يريد من جنس الثياب، وإلا فقد تقدم أنه كان عنده راحلتان ، الفتح (١٢٢/٨) .

(٣) فوجاً فوجاً: أي جماعة جماعة ، الفتح (١٢٢/٨) .

(٤) ولا أنساها لطلحة: قالوا: سبب ذلك أن النبي ﷺ كان آخى بينه وبين طلحة لما آخى بين المهاجرين والأنصار، والذي ذكره أهل المغازي أنه كان أخا الزبير لكن كان الزبير أخا طلحة في

←←←

كَعْبٌ :فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ :قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالَ :لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً [1] إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ :فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ [2]،فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ :﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [3] فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ

→→→

أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه. الفتح (١٢٢/٨).

(١) انخلع من مالي صدقة : أي أخرج منه وأتصدق به، الفتح (١٢٢/٨) .

(٢) ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله : أي أنعم عليه، وقوله :في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني وكذلك قوله بعد ذلك: فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني إلى الإسلام أعظم من صدقي لرسول الله ﷺ ففي قوله: أحسن وأعظم شاهد على أن هذا السياق يورد ويراد به نفي الأفضلية لا المساواة؛ لأن كعبا شاركه في ذلك رفيقان، وقد نفى أن يكون أحد حصل له أحسن مما حصل له، وهو كذلك لكنه لم ينف المساواة. الفتح (١٢٢/٨).

(٣) سورة التوبة، اية ١١٧ – ١١٩ .

لِأَحَدٍ، فَقَالَ :﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.(١) قَالَ كَعْبٌ :وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ (٢) رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ :﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ "(٣) .

---

(١) سورة التوبة، آية ٩٥ – ٩٦ .

(٢) وأرجأ : أي أخر وزنا ومعنى، وحاصله أن كعبا فسر قوله تعالى :﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي: أخروا حتى تاب الله عليهم، لا أن المراد أنهم خلفوا عن الغزو، وفي تفسير عبد الرزاق، عن معمر، عمن سمع عكرمة في قوله تعالى :﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال: خلفوا عن التوبة، ولابن جرير من طريق قتادة نحوه، قال ابن جرير :فمعنى الكلام لقد تاب الله على الذين أخرت توبتهم . الفتح (١٢٢/٨).

(٣) الإمام البخاري : محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ط . ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، دار الفجر ، القاهرة . ج ٣، ص ٢٠٢ – ٢٠٦، ورقم الحديث (٤٤١٨) . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في عدة مواضع مختصراً ومطولاً. وقد اقتصر الباحث على الحديث الذي جاء في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة عند البخاري؛ وأورد الحديث : الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، دار عام الكتب ، الرياض ، ج ٤، ص ٢١٢٠ – ٢١٢٨ ، ورقم الحديث (٢٧٦٩) ؛ والبيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٢٠٨–٢١٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٣، ص ٣٦٦–٣٧٠؛ وابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: ج ٥، ص ٢٣–٢٦. ابن سيد الناس: محمد بن محمد اليعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد الخطراوي ومحيي الدين متو، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ج ٢، ص ٣٠١ – ٣٠٥.

ثانياً : عند الإمام مسلم :

وردت الرواية عند الإمام مسلم في باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه في كتاب التوبة [١] بتشابه كبير مع رواية الإمام البخاري، وتقارب في الألفاظ والمعاني، عدا اختلافات بسيطة نشير إليها:

- الإمامان البخاري ومسلم ذكرا حديث كعب بن مالك من طريق ابن شهاب[٢] بطوله وجماله مع اختلاف بسيط بينهما، وقد أورد الإمام مسلم الرواية ذاتها التي وردت عند البخاري بتشابه كبير، غير أنه ذكر لحوق أبي خيثمه بالنبي ﷺ في تبوك، والبخاري لم يذكر ذلك .

- عند ذكر الاثنين الذين خُلِّفوا مع كعب بن مالك في حديث مسلم ذكر مرارة بن ربيعة العامري بينما عند البخاري ذكر مرارة بن الربيع العمري، وهذا خطأ وصوابه العَمْريَ من بني عمرو بن عوف، وهذا ما ذكره البخاري، وكذا نسبه ابن إسحاق وابن عبد البر، وغيرهما من الأئمة [٣] .

---

(١) الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، دار عام الكتب ، الرياض ، ج ٤، ص ٢١٢٠ – ٢١٢٨ ، ورقم الحديث (٢٧٦٩) .

(٢) ابن شهاب : اسمه :محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري، كنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، تابعي، من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة ١٢٥هـ وقيل قبلها بسنة أو سنتين .ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٢١٦.

(٣) حاشية صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٢٤ .

- من صور الزيادات والاختلاف بين الروايتين :

ما ذكره الإمام البخاري : (فما رجل أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى)، جاء عند الإمام مسلم حذف إلا والصواب إثباتها .

كذلك جاء عند الإمام مسلم : حين طابت الثمار والظلال زاد مسلم فأنا إليها أصعر، والصعر هو الميل(١).

عند الإمام البخاري وردت (فتيمّمت) وعند الإمام مسلم (فتياممت) .

زاد الإمام مسلم بعد (إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين) (واستلبث الوحي).

عند الإمام البخاري (ولا أنساها لطلحة) وعند مسلم (وكان كعب لا ينساها لطلحة) .

عند الإمام البخاري : (أحسن مما أبلاني .... كذباً) وعند الإمام مسلم (كذبة) .

وكلها زيادات واختلافات بسيطة لا تؤثر على المعنى والسياق العام للقصة .

ملخص الرواية:

وردت الرواية في الصحيحين من رواية كعب بن مالك رضي الله عنه، وقد وردت عند البخاري في هذا الحديث الذي سبق، ووقع في البخاري أنها كانت بعد حجة الوداع، قيل وهو غلط من النسّاخ (٢)، ووردت عنده في صحيحه في عدة مواضع

---

(١) العامري : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٤٣.

(٢) أبو الفرج نور الدين: علي بن إبراهيم الحلبي، السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ضبط وتصحيح: عبدالله الخليلي، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية،

←←←

مختصراً ومطولاً [١]، كما وردت عند الإمام مسلم، وكلها من طريق الزهري، وبروايات متقاربة واختلافات بسيطة، وعند تأمل الروايتين عند الإمامين البخاري ومسلم نجد أنها متقاربة في الألفاظ والمعاني، بل متطابقة في معظمها، وهي تعرض بأسلوب أدبي رفيع قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، بدون عُذر، فقد غلبهم التباطؤ والتسويف، والميل إلى الظلال والثمار حتى خرج الناس [٢]، وحين عاد رسول الله ﷺ من تبوك جاءه المخلفون يعتذرون، فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون بأعذار كاذبة، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله، أما كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، فقد صدقوا الله ورسوله، واعترفوا بذنبهم وتقصيرهم في الحضور والمشاركة مع رسول الله ﷺ، فأرجأهم حتي يقضي الله فيهم، وبعد مرور خمسين ليلة جاءتهم البشرى بقبول توبتهم من الله لرسوله ﷺ ، فكانت درساً وعبرة للمؤمنين .

←←←

بيروت، ج ٣، ص ١٨٣.

(١) الأحاديث : (٢٩٤٧) و (٢٩٤٨) و (٣٨٨٩) و (٤٦٧٣) و (٤٦٧٦) و (٤٦٧٧) و (٦٢٥٥) و (٦٦٩٠) و (٧٢٢٥) . العواجي : مرويات الإمام الزهري في المغازي، ج ٢، ص حاشية ص ٨٢٠.

(٢) العامري : بهجة المحافل، ج ٢، ص ٣٦؛ د. مصطفى مراد: سيرة الرسول ﷺ، ط ..، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الفجر للتراث، القاهرة، ص ٤٨٤.

المبحث الثالث

المقارنة بين الروايات عند ابن سعد والصحيحين.

وردت الرواية عن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم عند ابن سعد أثناء حديثه عن الغزوة، وقد ذكرها مختصرة مع بيان الذين خلفوا عن الغزوة، ويمكن تقسيمهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: وهم البكاؤون الذين لا يجدون ما يحملهم، وهم أهل الأعذار.

القسم الثاني: المنافقون الذين تخلفوا من غير علة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلاً.

القسم الثالث: الأعراب وقد جاءوا رسول الله ﷺ ليأذن لهم فاعتذروا إليه فلم يعذرهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً.

القسم الرابع: من تخلف من غير شك ولا ارتياب، ومنهم الثلاثة: كعب بن مالك، وهلال بن ربيع، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة السالمي، وأبو ذر الغفاري.

وقد لحق برسول الله ﷺ أبو خيثمة السالمي وأبو ذر الغفاري [١] وقد انتهت الغزوة ولم يحدث قتال فيها، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة في شهر رمضان بعد أن بقي في تبوك نحوًا من عشرين ليلة [٢].

وقد ذكر ابن سعد قول عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يقول: كان رسول الله ﷺ قلّما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها

---

(١) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥٣.

حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ، في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً، وغزو عدو كثير، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم وأخبرهم بوجهه الذي يريده [١].

ثم يذكر ابن سعد رواية أنس بن مالك قال: رجعنا من غزوة تبوك فلما دنونا من المدينة قال رسول الله ﷺ: " إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال نعم حبسهم العذر " [٢].

هذا كل ما ورد عن ابن سعد عن الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وبعض حديثه عن الغزوة وما جرى فيها من أحداث، ولم يذكر ابن سعد التفاصيل التي أوردها الإمام البخاري ومسلم من رواية كعب بن مالك، ولم يذكر تفاصيل حديث توبتهم وأن الله تاب عليهم في معرض حديثه عن الغزوة، وقد ذكر في تراجمهم تخلفهم عن رسول الله ﷺ ولكنه لم يذكر رواية كعب بن مالك التي وردت في الصحيحين، رغم أنه متقدم على الإمامين البخاري ومسلم، وقصتهم مشهورة ذكرها ابن إسحاق بطولها كما وردت في الصحيحين [٣]، وكذلك أوردها الواقدي [٤] وقد يكون اكتفى بما أورده شيخه الواقدي وقبله ابن إسحاق عنهم في أحداث غزوة تبوك، وقد يكون خطأ وسقط من النسّاخ أو الطبعات المتأخرة، والله أعلم .

ذكر ابن سعد أن غزوة تبوك كانت في رجب سنة تسع من الهجرة، ولم يذكر الإمامان البخاري ومسلم تاريخها.

---

(١) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥٢.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٥٣.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ٢ ، ص ٣٣٢ – ٣٣٦ .

(٤) انظر : المغازي : ج ٣ ، ص ١٩٩٦ – ١٠١٣ .

واتفق الإمام مسلم مع ابن سعد في تحديد العدو الذي يرغب رسول الله ﷺ مواجهته في غزوة تبوك وذكر أنه ﷺ يريد الروم ونصارى العرب بالشام.

فقد ذكر ابن سعد سبب الغزوة، أن رسول الله ﷺ بلغه أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وانضمت إليهم قبائل لخم وجُذام وعاملة هرقل وغسان، وأنهم قد تقدموا للبلقاء وعسكروا بها (١).

وانفرد ابن سعد بتحديد عدد الجيش حيث ذكر أن رسول الله ﷺ خرج في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس (٢)، ولم يذكر الإمامان البخاري ومسلم هذا، غير أنهم ذكروا من رواية كعب أن المسلمين كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان. وهو السجل الذي يكتب فيه الجند، وأغلب المؤرخين (٣) يميلون إلى أن عددهم ثلاثون ألفاً وقيل أكثر من ذلك، وهو أكبر جيش قاده الرسول ﷺ في حياته (٤).

وحسب الرواية التي وردت عند الإمامين البخاري ومسلم فإن هلال بن أمية ومرارة بن الربيع شهدا بدراً، ولكن بتتبع المصادر الأولية وكتب السير والمغازي

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ١٥٠. ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٩٢. والبلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان وفيها قرى كثيرة، الحموي : معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٥ . وهي الآن إحدى المحافظات بالأردن، تقع في الجزء الغربي من الأردن.

(٢) ابن سعد : الطبقات، ج ٢، ص ١٥١ .

(٣) المغازي، ج٣، ص ٩٩٦؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٩٣؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج ١، ص ٣٤٩؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٨٥ .

(٤) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ج٢، ص ٥٣١.

والتاريخ، نجد أنهما لم يشاركا، وقد ذكر ابن حجر قوله: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا هكذا وقع هنا. وظاهره أنه من كلام كعب بن مالك [١].

ذكر البخاري ومسلم من رواية الزهري أن كعب بن مالك رضي الله عنه شهد العقبة الثانية، بينما لم يرد هذا عند ابن سعد في حديثه عن الغزوة، وذكر ذلك في ترجمته بقوله : " شهد كعب العقبة في قولهم جميعاً "[٢]، وإن كان ظاهر كلامه عن شهوده العقبة لم يجزم بذلك، إلا أن الواقدي لم يذكره ممن شهد العقبة الثانية، على أن معظم كتب السير ذكرت شهوده العقبة الثانية [٣] .

اتفق ابن سعد والإمامان البخاري ومسلم على الظروف الصعبة التي حدثت فيها غزوة تبوك، من عسرة الناس، وشدّة الحر، وجدب البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الخروج على هذا الحال من الزمان الذي هم عليه، ولذلك ذكر وجهته التي يريدها دون تورية ليتأهب الناس لذلك ويستعدوا أحسن استعداد.

ذكر الإمام البخاري ومسلم سؤال رسول الله ﷺ في تبوك عن كعب بن مالك وما حدث من عبد الله بن أنيس السلمي ورد معاذ بن جبل عليه، ولم يذكر ابن سعد في حديثه عن الغزوة هذا ولا في ترجمة كعب بن مالك.

اتفق ابن سعد مع البخاري ومسلم على أن رسول الله ﷺ أرجأ أمرهم { أي: كعب وهلال ومرارة} حتى يقضي الله فيهم، وقد خصهم دون غيرهم ممن اعتذروا له

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٢٠) . وانظر : العواجي : مرويات الإمام الزهري في المغازي، ج ٢، ص ٨١٢.

(٢) الطبقات، ج ٤، ص ٣٩٣.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ج٢، ص ٣٣٣.

ﷺ ، وقد جاءوا إلى رسول الله ﷺ وأقروا بذنبهم وأن لا عذر لهم في تخلفهم عن الغزوة، ولم يرضوا أن يضيفوا إلى ذنب التخلف ذنباً جديداً وهو الكذب، وهذا الهجر كان لهم درساً قاسياً، إلا أنه كان يحمل في طياته بشارة أو ما يدل على صدقهم .

اتفق الإمامان البخاري ومسلم على أمر رسول الله ﷺ للناس بعدم كلام هؤلاء الثلاثة: كعب، ومرارة، وهلال، من بين من خلفوا، واجتناب الناس لهم وتغيرهم نحوهم، وذكر هذا ابن سعد في تراجمهم (١)، ولم يذكره في حديثه عن الغزوة.

كما انفرد البخاري ومسلم بأمر رسول الله ﷺ للثلاثة كعب، وهلال، ومرارة، باعتزال نسائهم بعد مرور أربعين ليلة، بينما لم يذكر هذا بن سعد في حديثه عن الغزوة. وقد ذهبن عند أهلهن إلا زوجة هلال؛ إذ كان شيخاً كبيراً فبقيت لخدمته فقط بإذن من الرسول ﷺ (٢).

ذكر الإمامان البخاري ومسلم قصة كعب مع ابن عمه أبي قتادة وسؤاله له، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ وسكوته عن الإجابة مخافة مخالفة أمر رسول الله ﷺ بمقاطعتهم، ولم يذكر ابن سعد هذا في حديثه عن الغزوة أو في تراجمهم. ومثلها قصة كعب رضي الله عنه مع النبطي الذي سأل عنه، وأراد استغلال ظرفه، ودعوته للحوق بهم عند ملك غسان، ولم ترد هذه عند ابن سعد في السيرة في مقدمة كتابه الطبقات، ولا في تراجم الثلاثة رضوان الله عليهم .

---

(١) الطبقات، ج ٤، مرارة بن الربيع، ص ٢٩٤، وهلال بن أمية، ص٣١٥، وكعب بن مالك ص ٣٩٥ .

(٢) أكرم العمري : السيرة النبوية ، ج٢، ص ٥٣٦. .

ذكر الإمامان البخاري ومسلم الحال الذي آل إليه الثلاثة الذين خُلِّفوا عن الغزوة وما أصابهم من الهمِّ والغم من هذا الذنب حتى ضاقت الأرض عليهم كما صورها كعب بن مالك رضي الله عنه، ولم يذكر هذا ابن سعد في حديثه عن الغزوة، ولا في تراجمهم مع إشارة لما فعله كعب بن مالك رضي الله عنه عندما بُشر بتوبته، خرَّ لله ساجداً، وأعطى الذي بشره ثوبه [1] وهذا لا يكون إلا بعد ضيق وهمّ أصابه رضي الله عنه.

ذكر الإمامان البخاري ومسلم تفريج الله لهؤلاء الثلاثة بقبول توبتهم، وبشارة الصحابة لهم، ما بين راكض بفرسه، وساعٍ بصوته وفرحهم بذلك وتهنئتهم لكعب بن مالك ولقاء طلحة بن عبيد الله وتحيته له، وبشارة الرسول ﷺ له بخير يوم مر عليه، وتصّدق كعب بماله وما جرى بينه وبين رسول الله ﷺ من حديث، وصدقه الذي أنجاه، ونزول الآيات [2] ولم يذكر ابن سعد هذا في معرض حديثه عن الغزوة في مجريات حديثه عن السيرة النبوية، ولكنه أشار إليها إشارة بسيطة في تراجمهم عندما ذكر نزول آية {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}.

ومما يلاحظ : اختصار ابن سعد في حديثه عن غزوة تبوك بشكل عام، فلم يذكر بعض الأحداث، مثل : حديث رسول الله ﷺ مع الجدّ بن قيس وترغيبه إياه في قتال بني الأصفر واعتذاره إليه، وتثبيط المنافقين بعضهم لبعض، وندب الرسول ﷺ للمسلمين بتجهيز جيش العسرة، وإرجاف المنافقين بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما خلفه رسول الله ﷺ في أهله، وحديث الحِجر ومرور الجيش بها وما حدث فيها من أحداث، وما حدث لناقته ﷺ في الطريق، وتخويف المنافقين

(١) الطبقات، ج ٤، ص ٣٩٥ .

(٢) سورة التوبة: آية ١١٧ – ١١٩ .

للمسلمين من بني الأصفر، وغيرها من الحوادث التي جرت للرسول الله ﷺ والمسلمين في هذه الغزوة.

كذلك حديثه عن المخلفين الثلاثة الذين خلفوا من غير عذر ولا نفاق وهم: كعب ابن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، كان مختصرًا ولم يذكر كثيراً من التفاصيل التي وردت عند الإمامين البخاري ومسلم من رواية كعب بن مالك، وقد يكون عذره أن قصتهم مشهورة ومذكورة عند من سبقه كابن إسحاق والواقدي بالتفصيل.

أشهر من تخلف من الثلاثة كعب بن مالك رضي الله عنه صاحب الرواية، فالمتتبع لترجمته يلحظ ذلك، فقد شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار رضوان الله عليهم، وشهوده معظم المشاهد والغزوات مع رسول الله، عدا غزوتي بدر وتبوك، وشجاعته يوم أحد مذكورة، كما كان من الشعراء الذين يُخوِّفون الأعداء في الحروب [١]، وروى العديد من الأحاديث بلغت الثلاثين، اتفقا على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، وروى عنه بنوه وآخرون [٢].

وقفات مع الحادثة:

عند قراءة مرويات قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك نلحظ فوائد عديدة، واستنباطات هامة ومن ذلك:

- فضل الصحابة وسمو أخلاقهم وصدق إيمانهم وقوة يقينهم بالله، وهذا ظهر فيما تمتع به الثلاثة المخلفون من قلوب نادمة وراغبة فيما عند

(١) انظر : ابن الأثير : أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٣٧ – ٥٣٨؛
(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء، (٢/ ٥٢٣) .

الله من الفرج والأجر والقبول، وما وفقهم به الله من صدق قولهم وعدم كذبهم والذي كان سبباً لقبول توبتهم .

- ضرر التسويف والتباطؤ وعدم المبادرة في الاستجابة لأمر الرسول ﷺ وعواقب المعصية وشؤمها على أصحابها.
- ترقب رسول الله ﷺ لأصحابه بلحوقهم به وحرصه عليهم، وسؤاله عنهم، وهذا ما ينبغي من المسلمين تجاه بعضهم وتفقد أحوالهم، والسؤال عن غيابهم عند مواطن اجتماع المسلمين.
- ملمح جميل في رد معاذ بن جبل عن أخيه كعب بن مالك وحسن ظنه بمن تخلف ممن عُرف عنهم الصدق وحب الخير.
- الصدق منجاة، وهنا نرى عظمة مقدار الصدق وعواقبه الحميدة على صاحبه، حتى وإن ظهر خلاف ذلك في بداية الأمر، لكن العواقب مضمونة بإذن الله، قال الله عزو وجل في آيات توبتهم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١).
- الاقتداء بالصالحين والتأسي بهم، لا يأتي إلا بخير، فهذا كعب يسأل هل صدق رسول الله ﷺ غيره ممن تخلف عن الغزوة، فيذكرون مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فيرضى بذلك وينتظر فرج الله.
- نهى رسول الله ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف عنه، وهذا يدل على صدقهم وكذب الباقين؛ لأنه أراد ﷺ هجر الصادقين وتأديبهم على الذنب، وقد استجاب الصحابة

(١) سورة التوبة، آية ١١٩ .

رضوان الله عليهم، وضربوا أروع الأمثلة في استجابتهم وحرصهم، حتى يشعر المذنب بفداحة ذنبه، ويندم على فعلته، وهي أيضاً تدل على تماسك المجتمع النبوي واستجابتهم لأوامر قائدهم رسول الله ﷺ دون تردد أو اعتبارات أخرى كالقرابة.

- تحقق ولاء كعب بن مالك لله ورسوله والمؤمنين وعدم استجابته لدعوة ملك غسان الذي حاول استغلال الظرف الذي مر به رضي الله عنه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في وقت البلاء، يزداد إيماناً وتعلقاً بالله.
- فرح الصحابة رضوان الله عليهم بقبول الله توبة الثلاثة، وانطلاقهم لتبشيرهم بهذا الفرج من الله لهم، وهكذا المؤمنون مجتمع واحد يفرحون ويحزنون لبعضهم عند الفرح والحزن.
- سعادة الرسول ﷺ بقبول الله توبتهم، وحرصه ﷺ على تأديبهم حتى تكون هذه الحادثة عبرة وعظة لهم ولغيرهم.
- استحباب الصدقة عند التوبة بما يقدر عليه التائب من المال، كما جاء في موقف كعب وحواره مع رسول الله ﷺ عندما أراد التصدق بكل ماله، لكن رسول الله ﷺ استحب له الثلث [١].

(١) مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ٢، ١٤٢٤هـ، دار إمام الدعوة، الرياض، ج ٢، ص ٢٢٣.

الخاتمة

ختاماً هذه قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، والتي جاءت في كتاب الله في سورة التوبة، ثم أوردها أهل السير والمغازي، وذكرها المحدثون بتفاصيل أوسع، كانت درساً عظيماً للمسلمين بعدم التخلف عن أمر رسول الله ﷺ والمبادرة في تنفيذ توجيهاته دون تأخير أو تقصير إلا من عذر شرعي كالمرض، وقد توصل الباحث للعديد من النتائج ومنها:

أهم النتائج:

- ضرورة الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ وخطورة مخالفته وعواقبه الوخيمة.
- أهمية الصدق في حياة المسلم وأنه طوق النجاة الحقيقي أمام الله ورسوله ﷺ.
- أورد ابن سعد قصة المخلفين الثلاثة عند حديثه عن غزوة تبوك وذكرها باختصار.
- اتفق البخاري ومسلم على رواية المخلفين الثلاثة التي رواها كعب بن مالك أحد الذين خلفوا عن الغزوة مع اختلاف بسيط بينهما.
- على جلالة قدر ابن سعد إلا أنه لم يعطِ هذه الحادثة حقها من العرض والتفصيل.
- في القصة دروسٌ وعبر جديرة بالتأمل والاستفادة منها وتطبيق الإيجابيات والحذر من أسباب التقصير والتخلف عن جماعة المسلمين.

التوصيات:

يوصي الباحث بمزيد من الدراسة المقارنة بين المرويات التاريخية عند المؤرخين وأصحاب المغازي والسير وكتب المحدثين لحوادث السيرة النبوية حتى تنقى من كل شائبة وزيادة غير صحيحة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

القرآن الكريم .

ابن الأثير : علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) :

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق : خليل مأمون، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت.

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، دار المعرفة، بيروت.

ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ).

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية .

البخاري : محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).

٤. صحيح البخاري ، ط . ٢٠٠٤ م ، دار الفجر ، القاهرة .

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ).

٥. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: سيد إبراهيم، ط.، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، دار الحديث، القاهرة،

ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ).

٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا وأخيه مصطفى، ط٣، ٢٠١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) .

٧. الصحاح، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، دار المعرفة، بيروت .

ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ).

٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ .

٩. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : خليل مأمون شيحا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، دار المعرفة، بيروت.

١٠. تقريب التهذيب، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت.

الحلبي : علي بن إبراهيم الحلبي (ت ١٠٤٤هـ).

١١. السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ضبط وتصحيح: عبدالله الخليلي، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ).

١٢. تاريخ بغداد، تحقيق : بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ .

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).

١٣. سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ).

١٤. الطبقات الكبير، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

السهيلي: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي (ت ٥٨١هـ).

١٥. الروض الأُنف، ط . ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الفكر، بيروت .

ابن سيد الناس: محمد بن محمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ).

١٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد الخطراوي ومحيي الدين مستو، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠ هـ).

١٧. تاريخ الأمم والملوك، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ).

١٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق :خليل بن مأمون، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، دار المعرفة، بيروت.

العامري : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت ٨٩٣هـ).

١٩. بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

القسطلاني: أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ).

٢٠. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شرح وتعليق: مأمون بن محيي الدين، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ت ٧٥١هـ).

٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي، ط ..، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ).

٢٢. البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبدالوهاب، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، دار الحديث، القاهرة.

الإمام مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).

٢٣. صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، ط١٤١٧،١هـ/١٩٩٦م،دار عالم الكتب، الرياض.

ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي (ت ٧١١هـ).

٢٤. لسان العرب، ط٦، ٢٠٠٨م، دار صادر، بيروت .

ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري (ت ٢١٨هـ).

٢٥. السيرة النبوية، علق عليها: عمر عبدالسلام، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتاب العربي.

الواقدي : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي (ت ٢٠٧هـ).

٢٦. مغازي الواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس، ط ٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار الأعلمي، بيروت.

ياقوت الحموي : أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ).

٢٧. معجم البلدان، ط .، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثانياً : المراجع والرسائل والبحوث

أكرم ضياء العمري.

٢٨. السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ط٦، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، مكتبة العبيكان، الرياض.

عاتق بن غيث البلادي .

٢٩. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار مكة للنشر، مكة المكرمة.

عبيد محمد الشريف .

٣٠. السيرة النبوية الواردة في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، دراسة مقارنة مع الصحيحين، (العهد المكي ٦١٠ – ٦٢٣م) رسالة ماجستير، جامعة بيشة، ١٤٤٣هـ.

محمد بن محمد العواجي

٣١. مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الجامعة الإسلامية .

د. مصطفى مراد

٣٢. سيرة الرسول ﷺ، ط .، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الفجر للتراث، القاهرة.

مهدي رزق الله أحمد.

٣٣. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ٢، ١٤٢٤هـ، دار إمام الدعوة، الرياض .